

تمهيد :

يعبر السرد الاجتماعي عن مرحلة من النضج التي بلغها السرد العربي القديم، حيث بدأت الكتابات السردية تتجه نحو معالجة القضايا الاجتماعية المستجدة في المجتمع العربي الإسلامي، وبدأت تضع يدها على بعض الأمراض الاجتماعية التي استشرت فيه، بأساليب مختلفة تميل إلى السخرية أحيانا ، وإلى الجد والصرامة أحيانا أخرى، فكانت المقامات بتأنقها اللغوي ونقدها اللاذع، وكانت أحاديث الجاحظ في كتابه البخلاء، أمثلة واضحة على اتجاه السرد العربي القديم إلى معالجة الظواهر الاجتماعية الفاسدة والدخيلة على المجتمع العربي الإسلامي، خاصة في العصر العباسي وهو العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية "حيث تمتد فترة حكم العباسيين من عام 132 هـ حتى 656 هـ ..

وهو عصر علم ومعرفة وحضارة وتطور، حيث ظهرت فيه مظاهر الترف وتحسن المعيشة لفئات واسعة<sup>60</sup> لقد شكلت هذه النقلة النوعية في حياة الناس بالمدن الجديدة العامرة في ظل تفوت طبقي كبير، وفي ظل امتزاج بين كثير من الأعراق والثقافات، ميدانا خصبا لبروز قضايا اجتماعية جديدة لم يعهدها المجتمع العربي من قبل، كالصراع الطبقي والشعبوية واللصوصية والاحتيال وكلها قضايا بدأت تتجلى في المجتمع الجديد.

<sup>60</sup> - أبو أحمد زقروق - ملامح الحياة الاجتماعية في العصر العباسي - Amrsal.com - 2023/02/14 تاريخ الدخول 2023/02/24.

" حيث أدى انتشار الرفاهية ومظاهر الترف إلى انتشار المجون ومجالس الشرب، ومقابل ذلك ظهر المد الصوفي كردة فعل على انغماس الناس في الملاذ الدنيوية، كما ظهرت الفروق الطبقية بين أفراد المجتمع وهذا ما أنتج صراعا بين هذه الطبقات، كما ظهرت الأفكار الشعبوية المعادية للجنس العربي خاصة عند الفرس بعد دخولهم الإسلام"<sup>61</sup> وكان لكل اتجاه أنصاره والمنافحين عنه والداعين إليه شعرا ونثرا.

## 1- مفهوم السرد الاجتماعي :

السرد الاجتماعي هو اتجاه الكتاب إلى تسخير النص السردي لمعالجة قضايا المجتمع، من خلال تسليط الضوء على المظاهر الاجتماعية المستجدة بالنقد والتحليل، بأساليب تميل إلى تحكيم العقل والفطرة السليمة ومجموعة القيم المتعارف عليها سواء كانت قيم دينية أو فلسفية أو اجتماعية، والغاية منه إصلاح ما اعوج من أخلاق الناس وعاداتهم "حيث تحمل - النصوص علامة المجتمع الذي تنشأ فيه وتتعلق العناصر المكونة لها بالثقافة والعادات"<sup>62</sup>

حيث يركز السرد على النماذج الاجتماعية محاولا إيجاد المعادل الموضوعي لها لغة وسردا. كون الأدب فن من الفنون الجميلة يعكس مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية وسيلته في التعبير عن تلك القيم الكلمة المعبرة الموحية. وقد شاع في العصر العباسي مثل هذا السرد خاصة في كتابات الجاحظ مثل كتاب البخلاء، وكتابات الحريري، وبديع الزمان الهمداني في ما يعرف بفن المقامات.

## 2- عوامل ازدهار السرد الاجتماعي :

<sup>61</sup> -فاطمة علي . كتب عن الحياة الاجتماعية في العصر العباسي . - أكتوبر 2022 - Mqal.com .

<sup>62</sup> -ميروك دريدي. التنخيل الاجتماعي في القصة الشعبية، النظام الاجتماعي والسرد. الثقافة الشعبية العدد 28 موقع . folkculturebh.org . تاريخ

الدخول : 2022/2/21

1- ازدهار المجتمع العربي في العصر العباسي، واتساع رقعة الدولة وامتزاج لأعراق والثقافات مما نتج عنه دخول الكثير من العادات والتقاليد الجديدة والأفكار المختلفة المتصارعة، التي شكلت مناخا خصبا لنشأة السرد الاجتماعي الذي عبر عن هذه التحولات نقدا واستحسانا.

2- ظهور المدن الكبرى العامرة مثل مدينة بغداد والبصرة والكوفة وسامراء وبلاد الأندلس، وفيها من الثقافات والعادات الشيء الكثير من مخلفات الشعوب المشكلة للمجتمع العربي الإسلامي، وفي حوار هذه الثقافات والعادات مجال رحب للكتابة السردية

3- ظهور الفلسفة وانتشار العلوم العقلية، وعلم الكلام " حيث كانت الرغبة عارمة في الدفاع عن الإسلام وإيجاد طرق لتفسير القرآن وبيان السنة السبب الرئيسي لاعتناق الفلسفة وعلم الكلام"<sup>63</sup>

وقد احتضن السرد هذه الأفكار وعبر عنها من خلال تصوير اختلاف وجهات النظر بين الفئات الاجتماعية المختلفة، خاصة في مجال طلب الرزق والتوكل والسعي والتماس الوسيلة ف ذلك مثل ما نجد في المقامات وأدب الشطار، وكتب الجاحظ مثل كتاب البخلاء.

4- تجلى الفروقات الطبقية في المجتمع العباسي ونشأة الصراع بين هذه الطبقات رغبة في الرقي الاقتصادي والطبقي. فكانت الطبقة الوسطى وطبقة الحكام وحاشيتهم وطبقة العمال والمهنيين.. ولكل منها اهتماماتها وطرق عيشها وثقافتها الخاصة، وكل طبقة تدخل في صراع مع الطبقة التي فوقها بحثا عن مكتسبات مادية ومعنوية، وهي مجال اهتمام الكتابة السردية بامتياز.

<sup>63</sup> -فرج عبد الغني - علم الفلسفة في العصر العباسي - موقع: 12.mawdoo3.com أكتوبر 2022 - الدخول : 2023/03/15

5- ظهور الشعوبية كنزعة معادية للجنس العربي وللثقافة العربية الإسلامية، وكانت بدايتها مع الفرس الذين دخلوا الإسلام لكن اعتزازهم بأصولهم الفارسية جعلهم يتأففون من العرب ويرون فيهم جنسا أقل رقا من الفرس، لذلك هب مجموعة من الكتاب للدفاع عن الثقافة العربية ضد هذه الموجة وفي مقدمة هؤلاء الجاحظ.

### 3- جماليات السرد الاجتماعي وخصائصه :

يتميز السرد الاجتماعي في الأدب العربي القديم بجملة من الخصائص الفنية والموضوعاتية المضمونية.

- حيث يمكن القول أن مجموع النصوص التي تنتمي إلى هذا المجال، جاءت ضمن كتب مستقلة بذاتها وحملت عناوين معبرمة عن محتواها مثل : كتاب البخلاء للجاحظ وهو كتاب عرض فيه صاحبه خلق البخل عند أهل فارس وأهل مرو خاصة، إذ ينظرون إليه كفلسفة للإقتصاد وتدبر المعيشة وهو عندهم من الصفات المحمودة التي يجب التمسك بها وتعلم تقنياتها حتى لا يقع الإنسان في التبذير، فتدركه الفاقة والفقر وتدفعه دفعا إلى سؤال الناس

- النقد اللاذع للسلوك المستهجن من منظور الشريعة ومن منظور التقاليد العربية العريقة، حيث تصور شخصية الرجل البخيل في كتاب الجاحظ بطريقة منفرة، من حيث المظهر الخارجي ومن حيث المعتقدات الفاسدة ومن حيث التركيبة النفسية المضطربة القلقة والمتوترة على الدوام وكأن الجاحظ يعتبر صاحب هذا الخلق من المرضى النفسانيين الذين يتطلب الأمر علاجهم مما هم فيه

– تعدد القصص وتنوعها في الكتاب الواحد، مع تعدد الحالات الاجتماعية المرصودة، حيث يوظف الجاحظ مثلاً: أبطاله من مختلف الشرائح نساء/ رجال / أطفال/ شيوخ/ شبان/ فقراء /أثرياء/أهل المدن / أهل البدو..وتفرد لكل حالة منها قصة خاصة.

أما من الجانب الفني فإن السرد الاجتماعي يعتمد على:

– الحوار كمبدأ أساسي يقدم من خلاله الكاتب شخصياته وهي تعبر عن ذاتها وأفكارها وتدافع عنها، قغالبا ما يدور الحوار بين البطل وبين النكرين عليه سلوكه، فتكون تلك فرصته لتقديم وجهة نظره السبب الذي يدفعه إلى هذا السلوك أو ذاك. وإن كانت بعض القصص تأتي على لسان السارد وهو الرواوي الذي يختاره صاحب الكتاب لتقديم القصة.

– الإسناد: وهو نسبة القصة إلى راوي وتأتي هذه الخاصية بصيغة حدثنا (فلان قال) مثل ما نجد في فن المقامات حيث يسند الحديث إلى : السروجي/ أو أبو الفتح السكندري/ أو بن هشام / أو الحارث بن همام/ وغيرهم.

– النهايات المفتوحة وغير المتوقعة:

– السخرية: المبنية على المفارقة وصور الهزلية و الفكاهية للشخصيات

– التألق اللغوي والأسلوبي:

– الإكثار من المحسنات البديعية

– المزج بين الشعر والنثر